السياسة الغربية في فكر النبهاني

د. تركي عبد مجيد
جامعة الأنبار- كلية التربية/ القائم

اختط النبهاني[1]، لنفسه، نهجا في التحليل السياسي، وقراءة السياسة الدولية عموماً، والغربية خصوصاً، مُخالفاً، نهج مَنْ سبقوهُ مِن السياسيين؛ فدرس واقع العالم، وما فيه من دول، وصنف الدول من حيث تأثيرها في الموقف الدولي، وفي السياسة الدولية. ودرس طبائع شعوب العالم، كالشعب الإنجليزي، والشعب الأميركي، والشعب الصيني، والشعب الروسي، والشعب الألماني، والشعب الفرنسي، وأثر طبائع هذه الشعوب على سياسة دولها، وعدَّ فهم السياسة الخارجية أمرا جوهريا لحفظ كيان الأمة والدولة الإسلامية. وتتبع الأساليب السياسية التي تجري في العالم، ولاحظ الخطط السياسية للدول في أساليب تنفيذها، وفي كيفية علاقتها بعضها ببعض، وفي المناورات السياسية التي تقوم بها هذه الدول. وكل ذلك لأجل الوصول إلى تصور الأساليب اللازمة لإقامة دولة الخلافة، في مثل هذا العالم المتصارع على المصالح والنفوذ، عن طريق العلاقات الدولية المعقدة والمتشابكة[2].

1- تقي الدين النبهاني (١٩٠٩-١٩٧٧) العالم الأزهري والقاضي الفلسطيني، ومؤسس حزب التحرير عام (١٩٥٣)، من أبرز المفكرين الإسلاميين في القرن العشرين.
2- فتحي سليم، حزب التحرير، كتاب مخطوط، ص ص١٠٨-١٠٩.

أهمية البحث :انطلاقا من ضرورة التعرف على الآخر ومعرفة مايدور في ذهنه من خطط وأهداف في سياسته الخارجية والمبادئ التي قامت عليها سياسته فضلا عن وسائله وأساليبه في تنفيذ تلك السياسة تأتي أهمية هذا البحث

فرضية البحث :أما الفرضية التي أسست لهذا البحث فتقول ((إن النبهاني مفكر سياسي إسلامي معاصر تناول السياسة الدولية بالنقد والتحليل واختط لنفسه منهجا خاصا به لقراءة تلك السياسة إلا أن ذلك المنهج وتلك القراءة يظلان محل نظرٍ ونقاش لايمكن القطع بصحتهِ من عدم ذلك دون الدراسة والتمحيص)).

الهدف من البحث: وعليه فان البحث يهدف إلى التحقق من وجود قراءة للسياسة الدولية وتحليلها في فكر النبهاني هذا أولا، وثانيا التأكد من مطابقتها للمنهج الذي ألزم نفسه به، أما ثالث هذه الأهداف فهو محاولة الحكم على أراء النبهاني في هذا الإطار عن طريق ردها إلى أصوله الفكرية وعن طريق المقارنة بين آرائه وآراء غيره من الكتاب والمقارنة بين آرائه السابقة وآرائه اللاحقة إن وحدت فضلا عن أهمية عرضها على واقع السياسة الدولية الميداني.

منهج البحث : وللبرهنة على صحة هذه الفرضية والوصول إلى هذا الهدف فقد قام البحث على منهجين رئيسين : أولهما المنهج التحليلي ، الذي يقوم على تحليل كتاباته وأفكاره واستخلاص واستنباط ما يمكن استخلاصه واستنباطه منها. وثانيهما المنهج المقارن، المؤسس على مقارنة آرائهِ وأفكاره مع ما انتجهُ المفكرون الآخرون من أفكار.

إشكالية البحث: هل استطاع النبهاني وصف وتحليل السياسة الغربية بشكلٍ علمي دقيق وعميق؟ أم كان عمله سطحيا؟ أم أنه وقع أسيراً لنظرية المؤامرة؟

وللإحاطة بتصور النبهاني الشامل للسياسة الغربية وفهمه لها، فلا بد من بحثها في ثلاثة محاور، هي: واقع السياسة الغربية، وهذه السياسة فكرةً وطريقة ثم قضية أوروبا.

أولا) واقع السياسة الغربية

ينطلق النبهاني، في وصفه لواقع السياسة الغربية من طبائع الشعوب، وأثر هذه الطباع، مقرونة مع الطبيعة الجغرافية للبلاد، في رسم صورة السياسة القائمة.

والملاحظ أن النبهاني ليس أول من قرن الأحوال السياسية أو طبائع البشر بالعوامل الجغرافية مع الفارق الكبير في التفاصيل بينه، وبين غيره من المفكرين، وقد اعتاد الكثير من كتاب الفكر السياسي الإستشهاد بملاحظات (مونتسكيو)، وهو يتحدث عن (العلائق الضرورية التي تنبثق من طبيعة الأشياء)، ومعنى ذلك ــ حسب تعليق (بول هازر) وجود علاقة معينة لا يمكن محوها، بين مناخ معين، وفرد معين. وأن الفرد سيكون طبقا، لما يتطلبه الوضع الجغرافي، وطبيعة الأرض، متبعا لذلك؛ فإن شعوب الشمال تكون نشطة، أما شعوب الجنوب فتكون رخوة، وذلك بفعل البرودة والحرارة. وهذا هو السبب ــ برأي مونتسكيو ــ في كون الشرقيين يتميزون بالرخاوة، ويخضعون للسلطة الإستبدادية؛ أما الشماليون، فهم دائما أقوياء ونشطاء[1].

وإذا كان رأي مونتسكيو غير مقبول، لا من الناحية المنطقية، ولا من الناحية الواقعية ــ لقيام العديد من الحضارات العظيمة في التاريخ، كحضارة وادي الرافدين وحضارة مصر، والحضارة الإسلامية، في جنوب العالم، فضلا عن كونه يبرر التفكير والعمل الإستعماري، الواقع من الشمال على الجنوب ــ فإن ذلك لا يمنع من الإعتراف بأن ابن خلدون قد تحدث قبله بزمن طويل عن هذه المسألة؛ فقد أفرد مقدمة في ((المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم))[2]. ومقدمة أخرى ((في أثر الهواء في أخلاق البشر))[3].

1- نقلاً عن د.عبد الرضا الطعان، تاريخ الفكر السياسي الحديث، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٩٢، ص ص٣٦٩-٣٧٠.

2- عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، القاهرة، دار الفجر، ٢٠٠٤، ص١١٣.

3- المصدر نفسه، ص١١٣.

ومقدمة ثالثة ((في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع، وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم))[1]. وفي كل هذه المقدمات تحدث ابن خلدون عن الشعوب، في أنحاء المعمورة، جميعها، ولم يترك بلدا من البلدان إلا وفصل القول فيه. وبين أثر المناخ، والموقع الجغرافي على سلوك، وطبائع كل شعب من الشعوب.

أما النبهاني، فقد رأى أن من الضرورة بمكان أن يأخذ السياسي فكرة كافية عن الشعب الذي يراد دراسة واقع سياسة دولته، ولا سيما بالنسبة للشعوب الغربية، والسبب أن هذه الشعوب هي التي تختار حكامها بنفسها وبالنتيجة تعد هي الدولة؛ فلا يوجد لديهم فرق بين الشعب وبين الدولة.

والواقع أن نظرة النبهاني إلى واقع السياسة الدولية قد شملت العديد من الدول؛ ولكننا سنكتفي ببيان وجهة نظره في سياسة دولتين من دول الغرب، وهما: إنجلترا، وأميركا، نظرا لأهمية موقعهما في السياسة الدولية، من جهة، ولعدم إمكانية الإحاطة بكل ما كتبه النبهاني عن السياسة الغربية ــ في هذا البحث ــ من جهة أخرى. ونظرا لأهمية الإتحاد السوفيتي، أو (روسيا) كما يسميها النبهاني، وأثرها في السياسة الدولية، في العصر الذي عاشه النبهاني، فإننا سنقوم ببيان وجهة نظره تجاه سياستها، مضافة إلى كل من إنجلترا وأميركا، وبغض النظر عن تصنيفها مع الدول الشرقية أو الغربية.

أولا) واقع السياسة الإنجليزية

إن أول ما يجب أن يُعلم ــ كما يعتقد النبهاني ــ هو أن الشعب الإنجليزي شعب صغير، وأن البلاد الإنجليزية بلاد صغيرة، أيضا، وعليه فهي غيره مؤهلة طبيعيا، من هذه الجهة، لتكون دولة كبرى؛ ولكن شعبها يتميز بميزتين هامتين هما: الذكاء، وسعة الحيلة، وبهاتين الميزتين، معا، تمكنت إنجلترا أن تشكل خطرا

1- المصدر نفسه، ص١٢٠.

على العالم، كله، بشكل عام، وعلى الدولة الإسلامية ــ أيام وجودها ــ بشكل خاص[1].

والشعب الإنجليزي شعب محافظ بمعنى الكلمة، ومن سجاياه التمسك بالقديم، وعدم التفريط بتغييره أو تطويره، وهو منذ القدم، وحتى اليوم تسيطر عليه العائلات العريقة، والأغنياء، وأصحاب رؤوس الأموال الضخمة. وبالرغم من أنه يدعي بأنه يسير وفق الديمقراطية؛ ولكن بالتدقيق يتبين أن العائلات العريقة، وأصحاب الإحتكارات، هي التي تنصب الحكام وليس الشعب. ونظرا لأن إنجلترا جزيرة، في وسط البحر، ولا تكفي جزيرتهم لمعيشتهم؛ فقد كان خروجهم من الجزيرة طلبا للعيش أمرا لا مفر منه[2]. ولأجل ذلك، فقد رسمت هذه الدولة خطة لتكون قوية بواسطتها، وتتلخص هذه الخطة في تسخير غيرها من الأفراد والشعوب والدول؛ لتكون أداة بيدها، أو للسير معها في تحقيق أهدافها، أو لمشاركتها في عداوتها لأعدائها، أو لدفعها وحدها للتورط في المشاكل التي تضعفها، وتجعلها تسير في السياسة التي يريدها الإنجليز[3].

لقد تحدث الأفغاني من قبل عن الإنجليز، وتناولهم في معظم كتاباته السياسية، لا سيما وأن دولتهم كانت الدولة الأولى في عالمه آنذاك، فضلا عن كونها تستعمر أغلب البلدان الإسلامية. وقد فرق الأفغاني بين الفرد الإنجليزي الذي يعيش في إنجلترا، وبين الإنجليزي المستعمر. ونظرا إلى الشعب الإنجليزي، وكأنه يعيش حالة انفصام في شخصيته، يقول الأفغاني: ((الإنجليز كأمة ليس من ينكر أنها من أرقى الأمم، تعرف معاني العدل، وتعمل بها، ولكن في بلادها ومع الإنجليز أنفسهم، وتنصف المظلوم إذا كان من الإنجليز. تعلم أن للإنسان حقا في الحياة، وهذا الإنسان في عرفهم هو الإنجليزي، وغيره من البشر ليس بإنسان.

1- النبهاني، نظرات سياسية، بيروت، دار الأمة، ١٩٧٣، ص٧.

2- النبهاني، مفاهيم سياسية لحزب التحرير، ط٣، مكان النشر بلا، منشورات حزب التحرير، ١٩٦٩، ص ص١٣١-١٣٢.

3- النبهاني، نظرات سياسية، مصدر سبق ذكره، ص١٧.

شعار كل انجليزي، وشعار دولة الإنجليز (أنه ليس في الوجود إلا الإله وحق الإنجليزي)! فما زال الطمع الهائل مشبع به رأس كل إنجليزي، ويرى كل بقعة غنية، كالهند، أحق بها الإنجليز من أهلها، وكل وطن خصب، كالقطر المغربي الإنجليز أولى به من أهله ومن أرباب الحق فيه... فلا يمكن أن يصدر عن أعمال الإنجليز إلا كل ظلم، ولا يمكن أن تكون وسائلهم غير المكر والختل والخديعة، وسفه الرأي ومنتهى البله، أن يطلب الشرقيين من الإنجليز عدلا فيهم، أو إنصافا نالهم))[1].

أما علي عزت بيجوفيتش فلا يرى أن لطبيعة الشعب الإنجليزي، أو العامل الجغرافي أثرا في سياسته، أو نظرته للحياة؛ فالمؤثر الأكبر هو (الخبرة)؛ أي الحياة ذاتها، وهو يرى أن إنجلترا عرفت عصرا إضافيا على دول أوروبا الأخرى، التي لم تعرف سوى عصر الكنيسة وعصر الدولة؛ أما إنجلترا فقد عرفت العصر الإسلامي الوسيط الممثل بالحضارة الإسلامية في الأندلس. إن العقل الأنجلوسكسوني لم يتشكل كما تشكل العقل الأوروبي، وقد ظهرت الثنائية في أسلوب الحياة الإنجليزية، تأثرا بآراء روجر بيكون، الذي يعد مؤسس ورائد التقدم الروحي الإنجليزي الحديث، وهو من تلاميذ ابن سينا المخلصين. ومرت هذه الثنائية بآراء الشاعر السياسي جورج برنارد شو الذي دعا إلى الإشتراكية، والحرية في آن، وتطورت عند كل من جون لوك، صاحب النظرية الأخلاقية، ومؤسس المنهج التجريبي، و توماس هوبز، وغيرهم من المفكرين الكبار، الذي شكلوا الفكر السياسي الإنجليزي المعتدل؛ حتى حين يثور؛ فلم تكن الثورة الإنجليزية سنة ١٦٨٨م تتسم بالتطرف، حسب رأي البعض؛ بل كانت أكثر الثورات اعتدالا، وفي الوقت نفسه، أعظمها نجاحا في العالم. وفي إنجلترا لم ينتج

1- الأفغاني، الكتابات السياسية، تحقيق د. محمد عمارة، بيروت، الدار العربية، ١٩٨١، ص ص٨٥-٨٦.

عن الثورة ضد الملكية إلغاؤها؛ بل ظلت هناك عناصر من النظام الأرستقراطي، تتعايش جنبا إلى جنب مع المؤسسات الديمقراطية[1].

إن هذه الطبيعة الثنائية، للإنجليز، التي يكشف الستار عنها بيجوفيتش، في إطار تصوره للشعب الأنجلوسكسوني المتميز عن بقية شعوب أوروبا، لا يمكن قبولها، إلا في حدود معينة، تبدأ هذه الحدود من الإعتراف، بأن تطبيق نظرية العلمانية (فصل الدين عن الحياة)، في إنجلترا، أخف وطئاً عما هو موجود في بقية أوروبا، وتنتهي بقبول فكرة، أن هذا الشعب يتميز بالصفات الحميدة داخل دولته، وفي حدود معاملة الإنجليزي لمواطنه الإنجليزي، فحسب. وأما الإعتقاد بأن لهذه الطبيعة والأفكار، التي بنت مؤسسة المجتمع الإنجليزي، أثر في السياسة الإنجليزية، فهذا اعتقاد خاطئ، وفي أقل الأحوال، فإننا نذهب إلى ما ذهب إليه الأفغاني، حين تصور وجود انفصام حاد في الشخصية الإنجليزية، ويؤكد هذا الرأي، أحد الذين عاشوا ظلم الإستعمار الإنجليزي؛ فقد تحدث محمد حبيب الموصلي عن أخلاق الإنجليز، وقسم الشعب إلى طبقتين: عامة وخاصة. فأما العامة ففيهم من الوحشة، والبلادة، والغطرسة، والشح، والخرافات الكثير الكثير. وأما الخاصة، فقدم في الأرض وأنف في السماء، يرى أحدهم نفسه فوق كل شيء، ولو كان هو غير شيء، ولدوا وولد معهم الشرف، ولا يرون سواهم شريفا، الحق معهم ولو كان باطلا، والمجد لهم وإن كان خسة، والعدل منهم وإن كان ظلما، يستهترون بكل أمة غير إنجليزية، ويسخرون من كل قوم غير سكسونيين. أما الحكومة فهي ثالث الشرور لا تعرف غير صالحها، ولا تسعى إلا وراء مصالحها. تؤله المنفعة وتشقي أقواما لتسعد آخرين. أما الأشقياء، فهم أبناء المستعمرات الذين يعدونهم عبيدا ويسيئون إليهم قولا وعملا[2].

1- على عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، بيروت مؤسسة العلم الحديث، ١٩٩٤، ص ص ٣٧١-٣٨١.

2- محمد حبيب الموصلي، جنايات الإنجليز، إربد، دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٥م، ص ص٤٧-٤٨.

وعلى أية حال، فإن أساس السياسة الإنجليزية، كما يصوره النبهاني، هو: شعب صغير في بلاد صغيرة، يريد أن يصبح الأول في هذه الحياة، ويطلب العظمة والمجد، ومن أجل ذلك يجمع القوى؛ ليجعل منها أداة لتحقيق أهدافه، وعلى هذا الأساس يسير في سياسته، كلها، في حال قوته، لما كان في القرن التاسع عشر، وأواخر القرن العشرين، وفي حال ضعفه، كما كان منذ أربعينيات القرن العشرين. وهدفه من أن يكون الدولة الأولى، أو أن يشارك في السياسة الدولية، هو: أن يتحكم في العلاقات الدولية، وفي الدول ذاتها؛ ليتخذها وسيلة للسيطرة والإستغلال، وللدفاع عنها إذا لزم الأمر. ولذلك فإن إنجلترا، حتى لو بدت ضعيفة، كما هي الآن في سبعينيات القرن العشرين، فإنها قوية في الواقع[1].

إن الإنجليز ــ كما يراهم الأفغاني ــ قد ملكوا حوالي ثلث العالم، بسلاح المكر والخديعة، وبدماء غيرهم من الشعوب؛ فهم يقاتلون في سبيل هدفهم إلى آخر جندي فرنسي، أو هندي، أو غيره، وأما ما سفكوه ــ في ذلك السبيل ــ من دمائهم، وما صرفوه من أموالهم، فهو كقطرة من بحر، ويبين الأفغاني، كيف يستخدم الإنجليز الخديعة والحيلة؛ فهم يدخلون البلدان أسودا ضارية في لين ــ ملمس ــ جلد الأفعى، ويعرضون أنفسهم في صورة خدم صادقين، وأمناء ناصحين، لا يهمهم إلا استتباب الأمن، وراحة الشعوب، وتقويم النظام؛ فهم يدخلون البلدان، كمحررين لا فاتحين. وقد يكون دخولهم، عن طريق التجارة، كما هو الحال، مع الهند، ثم يبدءون سياستهم المعروفة (فرق تسد)، وهكذا يفعلون ــ ذلك ــ تحت راية العدالة والإصلاح، وحفظ الراحة، وتقرير النظام، وهم لا يفعلون ذلك إلا بباعث المحبة والأخلاق، كما يزعمون[2].

وينبه النبهاني إلى أنه لا يصح أن يُنظر إلى إنجلترا نظرة استضعاف، ولا يصح أن يُعد ضعفها الدولي دليلا على ضعفها الحقيقي؛ بل يجب أن يُفرّق في

1- النبهاني، نظرات سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص٨-٩.
2- الأفغاني، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٩٠-٢٩٢.

النظرة إليها بين حالها دوليا، وبين حالها في مقومات قوتها الحقيقية. إن إنجلترا من جمع دول أوروبا للقضاء على الدولة الإسلامية، وهي من جر العالم إلى الحرب العالمية الأولى، ليس لضرب ألمانيا – حين حصل الإختلال في توازن الدول الأوروبية – فحسب؛ ولكن لتصفية الدولة العثمانية، تصفية نهائية، وإنجلترا، هي التي أشعلت نار الحرب العالمية الثانية، لا لضرب ألمانيا، فقط؛ وإنما لتصفية النظام الشيوعي في الإتحاد السوفيتي. ويصر النبهاني على أن إنجلترا قد سخرت دول أوروبا لتحقيق أهدافها، وأن فرنسا وأميركا لم تدرك ذلك إلا بعد الحرب العالمية الثانية، وأن إدراك الإتحاد السوفيتي لأهداف إنجلترا، هو الذي نبه أميركا إلى ذلك؛ فبدأت الأخيرة تعمل على قصقصة أجنحة إنجلترا وتقليص قوتها، وقطع شرايين حياتها للحيلولة دون تسلطها عليهم. ويؤكد النبهاني أن السياسة البريطانية لا تزال تعمل بقوة ضد الإتحاد السوفيتي، بشتى الأساليب، ولا تزال تتخذ الخدع والأساليب الخفية؛ لإبقاء أميركا سندا لها؛ ولمقاومة السياسية الأميركية فيما تقوم به ضد إنجلترا. وفي الوقت الذي يرى فيه النبهاني أن أميركا غير قادرة على حسم موقفها مع إنجلترا، فإنه يتوقع قدرة إنجلترا على تكتيل أوروبا ضد أميركا؛ للحيلولة دون محاولات أميركا لضرب إنجلترا[1].

وعلى الرغم من وجود بعض الأحداث السياسية التي تشير إلى محاولة إنجلترا لتسخير قوة أميركا لصالحها، إلا أن الباحث يشعر بنوع من المبالغة حول قدرة إنجلترا وإمكانياتها، في تطويع الدول من أجل مصالحها، ومن الأمثلة الواضحة، على عدم خروج إنجلترا من ساحة الصراع الدولي، حتى بعد ظهور العملاقان، كنتيجة من نتائج الحرب العالمية الثانية؛ فبعد أن حاول الإتحاد السوفيتي إيجاد منطقة عازلة في وجه ألمانيا، وأن يكون صاحب نفوذ منفرد في شرق أوروبا، رفضت إنجلترا، ولم تقبل إلا بتعويض عن ذلك؛ فنالت منطقة نفوذ في شرق البحر الأبيض المتوسط؛ ولكن في مطلع عام (١٩٤٧)، تقدمت الحكومة

1- النبهاني، نظرات سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٠-١١.

البريطانية بمذكرة إلى الحكومة الأميركية، تعلمها بأنها قد وصلت إلى درجة من العجز؛ بحيث لا تستطيع القيام بالتزاماتها الأمنية في الشرق الأوسط، والبحر الأبيض المتوسط؛ فبادرت الولايات المتحدة إلى تقديم المساعدات المالية والعسكرية لليونان، ثم أُعلن، فيما بعد عن مشروع، أو مبدأ (لترومان)، وذلك استجابة للرسالة البريطانية[1].

إن مثل هذه الوقائع والأحداث، يقرأها النبهاني، كمحاولة من إنجلترا لتسخير الآخرين، وجعلهم يخوضون معركة بالنيابة عنها؛ لتقطف هي ثمارها؛ ولكن لم لا تعبر هذه الوقائع عن قدرة أميركا على انتهاز أي فرصة؛ لتوسيع نفوذها، وملء الفراغ الذي تخلفه الدولة الغابرة؟

إن مثل هذا التساؤل غير وارد عند النبهاني؛ لأنه يرى إنجلترا من زاوية واحدة؛ فهي التي تمسك بخيوط السياسة العالمية، بيدها؛ لتحركها، كيف تشاء؛ فكل حرب تقف وراءها إنجلترا، وكل مؤامرة من تدبيرها، وكل كارثة من صنعها، وهذا يؤكد إيمان النبهاني.

إن هذه النظرة ــ التي ينظرها النبهاني ــ إلى إنجلترا، لا تزال هي ذاتها عند أتباعه، وتلاميذه. وهذا أحدهم يصف السياسة البريطانية، بما لا يغادر آراء أُستاذه، قيد أنملة. فلما كان ميزان القوى في أوروبا يمثل مركز التنبه في السياسة البريطانية؛ حيث أن أي خلل في هذا الميزان يشكل تهديدا لوجودها؛ فقد كانت تحرص على إيجاد توازن القوى عن طريق الدول الأوروبية ذاتها؛ بينما تتفرغ هي لبناء إمبراطوريتها، وتوسيع مصالحها. فما تغير ميزان القوى بخروج الإتحاد السوفيتي دولة مبدئية ثورية، على العكس من أوروبا، التي خرجت منكسرة ضعيفة، حاولت بريطانيا جر أميركا إلى أوروبا؛ لتقف بوجه الإتحاد السوفيتي؛ بينما تتصرف هي لإصلاح شأنها. فم لا تحاربه إلى آخر جندي أميركي؟ وقد حاربته من قبل إلى آخر جندي ألماني! لقد أرادت إنجلترا استثمار قوة أميركا

1- د. كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدولية، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٨٧، ص ص٣٢٢-٣٢٥.

العسكرية والإقتصادية الهائلة، ليس فقط، لإيجاد توازن في أوروبا، كما يوحي ظاهر التصريحات السياسية؛ وإنما لتوريط تلك القوى في حرب ساخنة مع الإتحاد السوفيتي؛ لتقطف هي الثمرة؛ فيكون العالم، كبقرة بين رجلين: يرعاها الأول ليحلبها الثاني. وأكثر من ذلك، كانت تريد إثخان جراح أميركا عن طريق زجها في هذا الصراع، أو ذاك؛ للتغلب عليها[1].

ويركز النبهاني، في عرضه لواقع السياسة الإنجليزية، على سياستها، في آسيا وأفريقيا، التي تطمع في استغلالها، وجعلها قوة لها، وشرايين الحياة لشعبها ودولتها، ومثلما تنبع قوتها من هاتين القارتين؛ فإن مقتلها يكمن فيهما، ولذلك فإن فهم السياسة الإنجليزية يقتضي دراستها في آسيا وأفريقيا، أولا، ثم دراستها في أوروبا، ولما كانت الإحاطة بهذه السياسة من الأمور العسيرة؛ لذا يُكتفى بالإشارة إلى الخطوط العريضة لها، وهذه الخطوط العريضة تتلخص، وفق تصور النبهاني، فيما يلي:

أولا) تعتمد إنجلترا في هاتين القارتين على أنظمة الحكم؛ فهي تضع دولا جديدة، كالأردن، أو تجعلها مناطق نزاع كالهند وفلسطين، أو تكتل الدول التي تريد منعها من الوحدة، كما في مشروع الهلال الخصيب، أو تقلب أنظمة الحكم، غير الموالية لها، كما فعلت في السعودية والجزائر.

ثانيا) يعتمد الإنجليز، في آسيا وأفريقيا على الإستغلال الإقتصادي، عن طريق رؤوس الأموال، والشركات الكبرى، ورجال الأعمال، والتجار وغيرهم، ولم تدخل إلا القليل من البلدان عن طريق الحرب، وحتى البلدان التي خرجت منها عسكريا، بقيت ــ إقتصاديا ــ فالإقتصاد؛ هو الأداة الفعالة للوجود الإنجليزي.

1- محمد موسى، العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، بيروت، دار البيارق، ١٩٩٦، ص ص٢٥-٢٦

ثالثا) تعتمد إنجلترا على العملاء، في دخول البلاد، أو البقاء فيها، سواء أكانوا عملاء في السياسة، أو الإقتصاد، أو الثقافة، وإن كان عملاء السياسة هم أبرز العملاء الظاهرين.

رابعا) تُعد الأفكار المُضلِّلة، والآراء المثيرة، والأخبار المؤثرة، وما شابه ذلك، وسائل فعالة للوجود الإنجليزي في البلاد، كفكرة القومية، أو الديمقراطية، وغيرها.

خامسا) تستعمل إنجلترا التضليل السياسي، كوسيلة فعالة، لبسط نفوذها على البلاد؛ فبهذه الوسيلة دخلت تركيا، وركّزت نفسها في جنوب أفريقيا وروديسيا[1].

هذه هي السياسة الإنجليزية برأي النبهاني، وقبل أن نختم الحديث يحسن أن نبحث عن الأسباب التي جعلت هذه السياسة حاضرة – في فكر النبهاني – في كل الأحداث السياسية، وإذا كان جواب النبهاني، يأتي من تصوره لواقع هذه السياسة؛ فإننا نتفق معه، إلى حد ما؛ ولكن الرجل قد بالغ في إعطاء السياسة الإنجليزية، هذه المكانة المركزية في السياسة الدولية، ولعل ذلك يرجع إلى جملة من الأسباب، منها ما يلي:

١. تأثر النبهاني، بالكتابات السياسية، التي تناولت الإنجليز، إبان سيطرتها الفعلية على العالم، تلك الكتابات التي وصفتهم بالمكر والخديعة، والنفعية، والظلم.

٢. بقاء سيطرة الإنجليز على دول عديدة، من العالمين العربي والإسلامي.

٣. دور الإنجليز الكبير، في تحطيم الإمبراطورية العثمانية.

1- النبهاني، مفاهيم سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص١١-١٥.

٤. دورهم في زرع الكيان الصهيوني، في جسم الأمة العربية والإسلامية.

ثانيا) واقع السياسة الأميركية

السياسة الأميركية لها وضعان: وضع ما قبل الحرب العالمية الثانية، ووضع ما بعدها. أما السياسة الأميركية ــ قبل هذه الحرب ــ فتقوم على أساس الإنفراد في النصف الغربي من الكرة الأرضية، وحمايته من الدول الموجودة في العالم القديم، ومن أجل ذلك تبنت **مبدأ مونرو** منذ عام ١٨٢٣؛ أما سياستها ــ بعد تلك الحرب ــ فقد تغيرت، كليا، وانقلبت رأسا على عقب. وعليه فإن السياسة المهمة ــ برأي النبهاني ــ هي السياسة الأخيرة؛ لأنها السياسة التي تؤثر في الحياة الدولية، وهي السياسة التي تحتاج إلى مجابهة، لدفع خطرها؛ ولذلك يجب دراستها ومعرفة دوافعها، وأساليبها، ووسائلها[١].

ويبدأ النبهاني بدراسة شعب الولايات المتحدة، طباعا، وتاريخا، ومجتمعا، ونظاما؛ فقد كان هذا الشعب مُستعمرا من قبل إنجلترا، وحصل على تحريره، ثم أقام دولة اتحادية تضم ــ الآن ــ خمسين ولاية، أيام النبهاني، ومن صفات هذا الشعب أنه شعب واع، ذكي، نشيط[٢]. يتميز بالخيال الخلاّق، والإرادة البناءة، إلى جانب فكرة سد الذرائع (البرجماتية). وبسبب هاتين الميزتين ــ إلى جانب الفكرة العلمية ــ ظل يسير في الطريق التصاعدي، إلى أن حقق المنزلة التي يرجوها[٣].

لقد استطاع، هذا الشعب ــ كما يصفه النبهاني ــ أن يقيم نظام حكم ديمقراطي؛ ولكنه كان نظاما فريدا، قد وضع بتفكير عميق وبإدراك عملي لمعنى الحكم، وكونه للبشر، ويتولاه أُناس من البشر؛ فلم يتصور الحكم المثالي تصورا منطقيا عقليا؛ وإنما تم إدراكه إدراكا واقعيا عمليا، ويلاحظ ذلك في الدستور، وفي

1- النبهاني، نظرات سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص١٧-١٩.
2- النبهاني، مفاهيم سياسية، مصدر سبق ذكره، ص١٢٧.
3- النبهاني، نظرات سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٠-٢١.

تقسيمه للصلاحيات، وفي الوحدة القوية؛ على الرغم من كون النظام نظاما اتحاديا. وكذلك في الحق المطلق للشعب في اختيار رئيسه، وغير ذلك[1].

إن النبهاني، بهذا الوصف، ينصف الشعب الأميركي ــ كشعب ــ وهو بذلك، يكون أعدل من غيره، وأدق حكما، حين رأى هذا النظام الفريد الذي أبدعته العقلية الأميركية بالشكل الذي وصفه، وهذا جانب إنساني يغفل عنه الكثير من المفكرين؛ فقد رأى سيد قطب: ((أن العبقرية الأميركية، كلها، قد تجمعت وتبلورت في حقل العمل والإنتاج، بحيث لم يبق فيها بقية تنتج، شيئا، في حقل القيم الإنسانية الأخرى))[2].

ويؤكد هذا الرأي الندوي، حين يذكر أنه قد تجول في أنحاء أميركا؛ فرأى تقدم الماكينات، وما قدمته المدنية من وسائل ترفيه وتسلية وتسهيلات، وأسباب للعيش والراحة والترف، والرقي، والإزدهار، غير أنه لم يجد الإنسان الحقيقي، الذي يحمل في صدره قلبا خفاقا، وعينا ساكبة؛ إنسانا يتمرد على الأهواء والشهوات، والأثرة والأنانية، والنفعية والإنتهازية، يعرف خالقه، ويعيش في حبه، وفي حب الإنسانية واحترامها[3].

ومع إقرارنا، بأهمية ما ذهب إليه النبهاني، في وصفه للشعب الأميركي، بالشعب الواعي، والذكي والنشيط، والبناء والخلاق؛ إلا أن هذا الوصف ناتج عن الملاحظات الخارجية، وليس عن بحث وتأمل عميق للحياة الإجتماعية والفكرية، والحالة النفسية، التي رافقت الإنسان الأميركي في هجرته إلى القارة الجديدة؛ فقد هاجر هذا الإنسان، وهو يحمل مزيجا من السخط على الحياة، في العالم القديم، ومن الرغبة في التحرر من قيود ذلك العالم وتقاليده، بما فيها من ضروري سليم، وثقيل فاسد. وقد هاجرت الأفواج الأولى، وهي تضم أصنافا من الناس، منهم

1- النبهاني، مفاهيم سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٢٧-١٢٨.
2- سيد قطب، أميركا التي رأيت، الأندلس، الحدائق للنشر والتوزيع، ١٩٩٣، ص١٦.
3- أبو الحسن الندوي، أحاديث صريحة في أميركا، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤، ص ص٥١-٥٢.

المجرم، ومنهم المغامر، ومنهم الثائر، ومنهم طالب الثراء. وكان أول ما اصطدم به هؤلاء المهاجرين السكان الأصليين (الهنود الحمر)؛ فحاربوهم حرب إبادة، لا هوادة فيها، ثم حارب العنصر الأنجلوسكسوني العنصر اللاتيني، هناك، ثم حارب المتأمركون الأبناء آباءهم الإنجليز، وأخيرا حارب الشمال الجنوب، وهكذا أصبح عنصر القوة عنصرا أساسا في العقلية والنفسية الأميركية؛ حتى الموسيقى الأميركية (الجاز) تتميز بالقوة؛ وحتى لعبة كرة القدم الأميركية (ألركبي) تتميز بالخشونة والشراسة، وتحطيم العظام. وهكذا أصبحت القوة والحيوية المادية مقدسة، عند الأميركي ــ كما يعبر سيد قطب، "والضعف ــ أيا كان سببه ــ جريمة لا تغتفر، كن قويا ولك كل شيء، أو كن ضعيفا؛ فلا ينفعك مبدأ، ولا يكون لك، في مجال الحياة الفسيح، مكان"[1].

أما إعجاب النبهاني بالنظام الرئاسي الأميركي الفريد، الذي يمنح الرئيس صلاحيات واسعة ــ وهذا بحد ذاته عيب وخلل؛ لأنه يميل إلى الأنظمة الدكتاتورية ــ فيمكن أن يزول، لو حاولنا الإجابة عن بعض الأسئلة، بخصوص الحرية المطلقة للشعب في اختيار رئيسه؛ فلماذا يكون حصرا من الأنجلوسكسون، البيض، البروتستانت، الديمقراطيين، أو الجمهوريين؟ فأين القوميات الأخرى؟ وأين الملونين، والسود؟ وأين الكاثوليك، والأديان الأخرى؟ وأين بقية الأحزاب؟ ثم هل للفقراء نصيب بهذه الإنتخابات. أم أنها ديمقراطية الأغنياء، والأثرياء جدا، من أصحاب الشركات الرأسمالية والإحتكارية الكبرى؟

ويرى النبهاني أن أميركا صاغت سياستها طبقا لعاملين، هما:

١. عامل الدفاع الذي أوجدته الأحوال الجديدة، بعد الحرب العالمية الثانية.

٢. عامل الإستغلال الذي أسال لعابها في البلاد المستعمرة، وفي أوروبا، ذاتها.

1- سيد قطب، أميركا التي رأيت، مصدر سبق ذكره، ص ص١٨-٢٥.

وأمام هذين العاملين ظلت أميركا متحيرة، هل ترجع إلى عزلتها؟ أم تظل مشتركة في هذا العالم؟ وعلى الرغم من اتخاذها لقرار الإشتراك عام (١٩٤٧)، إلا أنها وقعت في حيرة وارتكبت أخطاء في تنفيذ سياستها طوال الخمسينيات، وذلك لاعتناقها المبدأ الرأسمالي الذي تعتنقه أوروبا، ولأنها كانت تبشر بالمثل الرفيعة في العالم القديم، والدعوة إلى التحرر من الإستعمار، واصطدام ذلك بانفتاح شهوتها للإستعمار[١].

أما بالنسبة لعامل الدفاع فقد اتخذت أميركا ــ قبل الستينيات ــ سياسة الأحلاف؛ فأقامت حزاما حول الإتحاد السوفيتي، من الأحلاف، والقواعد العسكرية النووية، وغير النووية، مثل مبدأ ترومان عام ١٩٤٧ لاحتواء التوسع الشيوعي، بحيث أوجدت مشروع مارشال عام ١٩٤٧ لمساعدة أوروبا لتقف بوجه الإتحاد السوفيتي، وأنشأت حلف شمال الأطلسي عام ١٩٤٩، وحلف جنوب شرق آسيا عام ١٩٦٧،، ثم تبنت سياسة المساعدات الخارجية، كمبدأ تحرير الشعوب الخاضعة للشيوعية، وغير ذلك.

وأما بالنسبة لعامل الإستغلال، فقد وسعت سياسة المساعدات الخارجية؛ حتى شملت معظم الدول التي كانت مستعمرة، واتخذت سياسة العدوان، غير المباشر، مثل القيام بالإنقلابات، والتخريب، والتدمير، وشراء الذمم، كسياسة فعالة، في هذا الجانب. ولكن أميركا لم توفق في مشاريعها تلك، لا في أوروبا، ولا في أفريقيا، ولا في الشرق الأقصى، أو الأدنى؛ وذلك بسبب موقف إنجلترا، ثم فرنسا وأوروبا، وأخيرا الشعوب الأفريقية والآسيوية؛ فوقعت في مآزق متعددة،مما اضطرها لرسم سياسة جديدة سارت فيها منذ (١٩٦١) وما بعدها[٢].

إن هذه السياسة الخارجية الأميركية، في حقبة الخمسينيات، هو صد الإتحاد السوفيتي، الذي أخذ شكله الأساسي، بعد الحرب العالمية الثانية في شرق

1- النبهاني، نظرات سياسة، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٤-٢٥.
2- المصدر نفسه، ص٢٥-٢٦

أوروبا والبلقان والشرق الأقصى، وكانت أميركا ــ بمشروع (مارشال) ومبدأ (ترومان) ــ تعطي لسياستها غائية الحرب الباردة، وهي احتواء الإتحاد السوفيتي، ولكن السوفيت فسروا السياسة الأميركية بأنها تبغي تهديد الأمن السوفيتي؛ ولذلك كانت مواقفهم ردود فعل إزاء التحركات الأميركية[١].

أما الدول الأوروبية فقد هبت للدفاع عن مصالحها ونفوذها، وخاضت مع الولايات المتحدة حربا سياسية قوامها المؤامرات والإنقلابات، والحروب أحيانا[٢]. وعلى سبيل المثال، حين رأت إنجلترا أن مشروع (مارشال) يصب في المصلحة الأميركية بالدرجة الأولى ــ فهو يقوم بتصريف البضائع الأميركية، والقضاء على البطالة بين عمال أميركا، وإيجاد فرص للإستثمار الأميركي[٣] ــ لعبت، عند ذلك، لعبتها الماكرة في تخفيض قيمة الجنيه الإسترليني، بالنسبة لقيمة الدولار؛ فكانت النتيجة غلق الأسواق في وجه البضائع الأميركية، ثم انتشار البطالة بين ملايين الأميركيين[٤].

ويرى النبهاني، أن الإخفاق في السياسة الأميركية حدى بصنَّاعها إلى صياغة سياسة جديدة، تتمثل حسب وجهة نظره، بما يلي:

١. تخلت أميركا عن سياسة الأحلاف وصارت تعتمد على نفسها في سياستها الدفاعية.

٢. تخلت عن سياستها بشأن الحيلولة دون التوسع الروسي، أو الصيني، وحددت مناطق نفوذها، ومناطق نفوذ الإتحاد السوفيتي، وبذلك دخلت لعبة شطرنج مميتة.

٣. سارت أميركا في سياسة احتكار السلاح النووي، لها ولروسيا،فقط.

1- د. كاظم هاشم نعمة، مصدر سبق ذكره، ص٢٩١.
2- محمد موسى، مصدر سبق ذكره، ص٥٠.
3- عبد الكريم بكار، العولمة، عمان، دار الإعلام، ٢٠٠٠م، ص١٧.
4- سيد قطب، السلام العالمي، في الحرب الأميركية في منظار سيد قطب، إعداد، د. صلاح الخالدي، عمان، دار العلوم، ٢٠٠٣م، ص ص٦٥-٦٧.

٤. إيجاد أماكن ممنوعة السلاح، وعدم السماح للدول القائمة فيها بالتسلح، إلا في حدود معينة.

هذا فيما يخص سياسة الدفاع، أما السياسة الإستعمارية، فقد ظلت تعتمد على سياسة التحرير من الإستعمار، والمساعدات الإقتصادية، والعسكرية، والتضليل السياسي، والفكري، وأخيرا المشاريع الإنتاجية[1].

ثالثا) واقع السياسة الروسية

قبل البحث في سياسة الإتحاد السوفيتي، يقدم النبهاني لمحة خاطفة عن حياة الشعب الروسي، فكما هو معروف لا يوجد لديهم شعب سوى الدولة وغير الحزب الحاكم. على أساس أن الدولة هي الشعب، والشعب هو الدولة، كما يزعمون. والشعب الروسي ــ كما يصفه النبهاني شعب نشيط، فيه الحيوية والقوة؛ ولكنه ساذج؛ فعلى الرغم من اعتناقه للمذهب الرأسمالي ــ أيام القياصرة ــ إلا أنه ظل متأخرا عن أوروبا، ولم يتقدم ــ في الصناعة ــ إلا بعد حكم الشيوعيين. والشعب الروسي، شعب محارب، شجاع في بلاده؛ فإذا خرج منها فقد خصائصه؛ ولذلك كان من المستغرب أن يظل الإتحاد السوفيتي مسيطرا على دولة شرق أوروبا أكثر من ربع قرن، بعد الحرب العالمية الثانية. فالشعب الروسي لم ينتصر خارج بلاد في كل حوادث التاريخ؛ ولكنه كان ينتصر دائما في الدفاع عن بلاده، كما حدث في صده لهجوم نابليون، وهجوم هتلر[2].

إن قول النبهاني في أن الشعب الروسي لم يحقق أي نصر خارج بلاده على مدى التاريخ، قول يثير الدهشة، ولا يمكن تفسيره على أي وجه من الوجوه، سواء أكان يقصد الروس لوحدهم، أم يقصد الشعوب التي ضمها الروس، ثم الشيوعيون بقوة النار والحديد؛ فمن المعلوم بالضرورة أن روسيا كانت دويلة محددة المساحة(دوقية موسكو عام ١٤٨٠)، ثم أخذت تتسع وتبتلع الأقطار

1- النبهاني، نظرات سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص٣٤-٤٠.
2- النبهاني، مفاهيم سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٣٨-١٣٩.

المجاورة، واحدة تلو الأخرى؛ حتى بلغت خمسة عشر ضعفا من حجمها الأول؛ فوصلت إلى البحر الأحمر، وأطلت على البلطيق غربا، وعلى المحيط الهادي شرقا، وبعد أن كانت منزوية في الركن الشمالي الشرقي من أوروبا، واستوعبت عددا كبيرا من الدول، والقوميات واللغات المختلفة. والأقاليم الإسلامية التي ابتلعتها روسيا تزيد، لوحدها، عن مساحة القارة الأوروبية بعدة مرات، وتشمل: الأوراس، وإسترخان، وسيبيريا، والقرم، والقوقاز، والتركستان. هذا فضلا عن أوكرانيا، وأستونيا، ولاتفيا، ولتوانيا. وكل هذه البلدان ضمت خلال القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين. وعملت روسيا على محو معالمها الثقافية والإجتماعية، ولا سيما البلدان الإسلامية التي عملت على سحق الإسلام فيها[1].

ولعلنا لا نغالي، حين نرد على رأي النبهاني ــ القائل بأن الروس لم ينتصروا خارج بلادهم على مر مراحل التاريخ ــ بالكلمات السابقة، لا سيما إذا عرضنا من كلامه ما يناقض ذلك؛ إذ يقول النبهاني ما نصه: ((إن روسيا في عهد كاترينا (١٧٦٢م-١٧٩٦م) حاربت العثمانيين، وتغلبت عليهم، واقتطعت بعض أراضيهم، وأخذت منهم مدينة آزف، وشبه جزيرة القرم، واستولت على جميع الحوض الشمالي للبحر الأسود، وأنشأت مدينة سباستبول قاعدة لها في شبه جزيرة القرم، كما أنشأت ميناء أوديسا التجاري على البحر الأسود، وأصبحت روسيا عاملا مهما في سياسة الدولة العثمانية الخارجية، وصارت صاحبة السيادة في الإمارات الرومانية، واعتبرت نفسها حامية المسيحية في الدولة العثمانية، ثم اقتطعت من تركيا في سنة (١٨٨٤م) التركستان، ثم أكملت احتلالها للقفقاس جميعه))[2].

1- محمد الغزالي، الإسلام في وجه الزحف الأحمر، ط٩، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٠، ص ص ١٠٢-١٠٣. وللمزيد من التفاصيل أنظر د.عبد الوهاب الكيالي واخرون، موسوعة السياسة، ج١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٤، ١٩٩٩، ص ص ٢٩٤-٢٩٥.

2- النبهاني، الدولة الإسلامية، ط٧، بيروت، دار الأمة، ٢٠٠٢، ص٢٠٦.

ويحدد النبهاني أربعة أدور للسياسة الروسية مرت بها، هي:

الدور الأول) السياسة الروسية في عهد القياصرة، وهي سياسة وطنية قامت على أمرين هما المحافظة على روسيا، والتوسع في حدود الدولة ونفوذها.

الدور الثاني) السياسة الشيوعية بعد تسلم الحزب الشيوعي الحكم، وهدفها إيجاد الثورة العالمية ونشر الشيوعية في العالم.

الدور الثالث) السياسة الروسية الشيوعية، القائمة على المحافظة على الدولة الروسية كأساس وحيد للسياسة، مع العمل على الثورة العالمية، ونشر الشيوعية، وذلك في عهد ستالين.

الدور الرابع) العودة إلى سياسة روسيا القيصرية، مع فارق واحد فقط، هو كون سياسة روسيا القيصرية تتخذ الأعمال السياسية، والأعمال العسكرية لتنفيذ سياستها؛ أما الإتحاد السوفيتي ــ في وقت النبهاني ــ فقد كان يغلف الأعمال السياسية بغلاف الشيوعية والإشتراكية. ويقوم بالأعمال العسكرية حسب متطلبات السياسة الدولية، وذلك بغض النظر عما تتطلبه الشيوعية[1].

ولا يرى النبهاني فرقا بين عهد القياصرة وعهد الشيوعيين؛ فإن المبدأ الذي اعتنقه القياصرة، هو المبدأ الرأسمالي (فصل الدين عن الدولة)؛ أما الشيوعيون فإن فكرتهم التي تسير سياستهم الخارجية، وفقا لها، فهي الفكرة الرأسمالية ذاتها، في مضمونها، وفي السير طبقا لها؛ حتى وإن سميت فكرة اشتراكية أو شيوعية. وهي من الناحية العملية آخذة بالتحول التدريجي إلى ما عليه الغرب من ترقيع فكرة الرأسمالية، وسيظل الإتحاد السوفيتي يرقع الفكرة الإشتراكية، أو الشيوعية؛ حتى تصل إلى فكرة رأسمالية مرقعة، لا هي إشتراكية، ولا هي رأسمالية، وعليه يمكن القول: أن الإتحاد السوفيتي لا يختلف عن إنجلترا ولا أميركا؛ فهو دولة كبرى تسعى لحماية نفسها، وبسط نفوذها. إلا أن الحكم فيه

1- النبهاني، نظرات سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص٤٩-٥٠.

بيد الحزب الشيوعي؛ فلا تتولاه الطبقة الأرستقراطية، ولا توجد انتخابات للوصول إليه[1].

إن توقع النبهاني ــ في أن الشيوعيين، سيظلون يرقعون فكرتهم الإشتراكية إلى أن تصل إلى فكرة رأسمالية مرقعة، لا هي بالإشتراكية ولا هي بالرأسمالية ــ يدل على نضج ووعي عميق، لديه، وقدرة على قراءة الأحداث المستقبلية، وهو بذلك، يتفق مع سيد قطب، على التنبؤ بزوال الشيوعية، ولعله استفاد هذه الفكرة من سيد، لا سيما وأن كتاب سيد قطب الذي سجل فيه هذه الفكرة كان أسبق من كتاب النبهاني بعقدين من الزمن؛ فقد صدرت الطبعة الأولى، من كتاب سيد قطب (السلام العالمي في الإسلام) عام (١٩٥١م)، أما كتاب (نظرات سياسية) للنبهاني، فقد صدر عام (١٩٧٢). وفي صدد هذا الموضوع، يقول سيد قطب ما نصه: ((ولئن انتصرت الشيوعية، فَلَيَنْبُتَنَّ لها عدوها من ذاتها نفسها، من الضغط والكبت الذين لا تطيقهما البشرية طويلا! وقد تمزقت يوغسلافيا؛ حتى قبل المعركة، وسيتبعها التشقق في المعسكر الشيوعي لنفس الأسباب، أو بسبب الجمود والتوقف، الناشئين من صب البشرية كلها في قالب واحد تسيطر عليه فكرة واحدة، لا تسمح بأي تطور، بعد مرحلة الشيوعية، التي تعد ختاما للحلم الماركسي، لا تتعداه! إنها للعنة، لا تصاب بها الإنسانية، إلا وقد أريد بها شر عظيم))[2].

ويلخص النبهاني الخطوط العريضة لسياسة الإتحاد السوفيتي الدولية بما يلي:

- إبقاء سيطرته الكاملة على دول أوروبا الشرقية؛ بحيث يتعذر على أي منها الإنفلات من قبضته.
- إبقاء الصين دون مستواهم، في صورة لا يمكنها الإرتفاع عنها إلى مستوى يشكل خطرا عليهم.

1- المصدر السابق، ص٥٢.

2- سيد قطب، السلام العالمي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٢.

- إبقاء الدول المحيطة بالصين تحت هيمنتها؛ إما عن طريق الإشراف عليها، مثل فيتنام وكوريا الشمالية؛ وإما عن طريق جعلها في وضع غير معاد لها؛ وضع لا يُمَكِّن الصين من السيطرة عليها.
- جعل أوروبا الغربية في حالة ضعف دائم؛ بحيث لا تصبح قوية، بشكل يهدد أمنها، وذلك بمراقبة دولها، والحيلولة دون تكتيلها.
- إضعاف إنجلترا، والحيلولة دون عودتها دولة كبرى، وتصفية قواعدها في العالم، وإضعاف مركزها في الهند.
- مراقبة سياسة أميركا وتتبعها، وحصر الموقف الدولي بينا وبين أميركا، وعدم السماح لدول أوروبا أن تشترك في المشاكل الدولية[1].

ويبدو ــ من القراءة السريعة لملخص السياسة السوفيتية الدولية ــ أن التحرك السوفيتي في أوروبا لم يكن من قبيل التوسع، مع أنه لو وجد فرصة سانحة لما توانى؛ وإنما كانت تحركات دفاعية، وقد أصبح معروفا أن دوافع إبقاء الحشود السوفيتية على حدود أوروبا الغربية، بعد الحرب العالمية الثانية، كان لردع الولايات المتحدة عن ضرب الإتحاد السوفيتي بالأسلحة الذرية، فحسب. هذا على الرغم من كون الإتحاد السوفيتي دولة مبدئية، ونشر المبدأ والتوسع من أولويات سياسته، إلا أن الحفاظ على الدولة مقدم على نشر المبدأ[2].

ومن هنا فإن سياسة نشر الشيوعية ــ كما يصفها النبهاني ــ أصبحت مفيدة، أولا: بما لا يتعارض مع مبدأ الحفاظ على الدولة، وثانيا: بما لا يتعارض مع الإتفاق الذي تم بينها، وبين الولايات المتحدة على مناطق النفوذ. أما هذه السياسة الشيوعية، فإن خطوطها العريضة ــ حسب اعتقاد النبهاني ــ تتلخص بما يلي:

1- النبهاني، نظرات سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص ٥٥-٥٨.

2- محمد موسى، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٤-٢٥.

١. إتخاذ الأحزاب الشيوعية في العالم، وسيلة مهمة لنشر الشيوعية في أي مكان من العالم، لا فرق في ذلك بين آسيا وأوروبا، ولا بين أفريقيا وأميركا.

٢. المساعدات العسكرية والإقتصادية، التي تقدمها للبلاد غير الشيوعية، ولا سيما المتخلفة منها، ويتبع هذه المساعدات وجود الخبراء والمستشارين الروس، لترويج الأفكار الشيوعية.

٣. الكتب والنشرات الشيوعية، والمطابع، ودور العلم، وذلك على الرغم من عدم اتخاذها الثقافة كوسيلة للسيطرة الثقافية، إلا أنها تحاول تثقيف الملايين بالثقافة الشيوعية والإشتراكية.

٤. إتخاذ الإنجازات السوفيتية في أبحاث الفضاء، والتفوق السوفيتي، ومساندة بلدان العالم الثالث في الأمم المتحدة، وسائل لنشر الشيوعية.

٥. تبني فكرة التحرر من الإستعمار، ومهاجمته، ونشر هذه الأفكار على أنها أفكار شيوعية.

٦. إغتنام فرصة وجود الفقر، والظلم الإجتماعي، والسياسي، في بعض البلدان، وعرض الشيوعية كعلاج لهذه المشاكل، وكأداة لتحرير الشعوب من براثن الجوع والمرض والجهل. هذا فضلا عن محاربتها للأفكار القومية والدينية، وإيجاد التناقضات بين أبناء الشعب لتحويله إلى طبقات اقتصادية، وهدم علاقات المجتمع وتحويلها من إسلامية، أو رأسمالية إلى إشتراكية، وذلك في البلدان التي تتمتع فيها بشيء من النفوذ[1].

ثانيا) السياسة الغربية فكرة وطريقة

يتغير الموقف الدولي ــ كما يتصور النبهاني ــ تبعا لتغير موقف بعض الدول من حالة إلى أخرى؛ إما بقوتها؛ وإما بضعفها؛ وإما بقوة علاقاتها مع الدول، أو بضعفها؛ فينتج عندئذ تغير في الميزان الدولي. ولذلك ينبغي فهم موقف كل

1- النبهاني، نظرات سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص٥٩-٦٢.

دولة من التي لها وزن في الموقف الدولي؛ حتى يمكن فهمه. ومن هنا يجب الإحاطة بمعلومات معينة، عن كل دولة؛ لأنها الركيزة الأولى للفهم السياسي، ولعل أهم المسائل التي يتحتم معرفتها – برأي النبهاني – هي الفكرة القائمة عليها سياسة الدول في العالم. وكذلك معرفة الطريقة التي تنفذ بها هذه الفكرة[١].

والفكرة: هي الصورة الذهنية لأمر ما[٢]. وهي، أيضا: ما يتوجه به الذهن من العلم، تجاه المعلوم من الواقع المحسوس، والفكرة، تعني العقيدة والمعالجات[٣]. والفكرة، عند النبهاني: ما يتوصل إليه الإنسان ويستنتجه من العلمية التفكيرية[٤]. أما الفكرة التي تقوم عليها السياسة، أو (الفكرة السياسية)، فتعريفها، بأنها: ((الفكرة التي تبني الدولة على أساسها علاقاتها بغيرها من الشعوب والأمم))[٥].

والطريقة: هي كل فكرة، من النظام في شطره الذي يتعلق بكيفية تنفيذ أحكامه ومعالجاته[٦]. ويبدو من المعاني المتقدمة لكلمتي الفكرة، والطريقة أن النبهاني لا يميل إلى معناهما باللغة العربية؛ فالفكرة، عنده، لا تعني الصورة المستقرة في الذهن لأمر معين، والفكرة، بهذا المعنى تقابلها كلمة (notion) في الإنجليزية، أو كلمة (idea)[٧].

والفكرة، عند النبهاني تقترب كثيرا من كلمة (dogma)، وتعني العقيدة السياسية، التي لا تناقش[٨]. ولكنها تنطبق تماما مع كلمة (ideology) في

1- النبهاني، مفاهيم سياسية، مصدر سبق ذكره، ص٣.
2- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، بيروت، دار إحياء التراث، سنة الطبع بلا، ص٧٠٥.
3- هشام البدراني، الإسلام أفكار وأحكام، في تبصرة الأفهام، قراءة لكتاب نظام الإسلام، لتقي الدين النبهاني، قراءة لكتاب نظام الإسلام، لتقي الدين النبهاني، إربد، دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٥م، ص٢٨٠.
4- النبهاني، الفكر الإسلامي، مكان وجهة النشر بلا، ١٩٥٨، ص٢٦.
5- النبهاني، مفاهيم سياسية، مصدر سبق ذكره، ص٤.
6- هشام البدراني، مصدر سبق ذكره، ص٢٨١.
7- مجموعة مؤلفين، قاموس أكسفورد، لندن، جامعة أكسفورد، ١٩٩٨، ص٥٠٨، وص٣٧٦.
8- المصدر نفسه، ص٢٢٥.

الإنجليزية، وتعني العقيدة. وقد أُطلق هذا الإسم في نهاية القرن الثامن عشر، على علم متسم بالحتمية في الفكر والأفكار الإنسانية. أما اليوم فيعني مصطلح العقيدة: القيم والإفتراضات والعقائد الرئيسة التي يمتلكها الناس، وتمكنهم من فرض نوع من النظام الذهني على التجارب الفردية والإجتماعية المختلفة، التي يمر بها هؤلاء. وتوصف المذاهب السياسية الصريحة والمتميزة بأنها عقائد، مثل (المذهب المحافظ، والفاشية، والليبرالية، والإشتراكية). وتحتوي العقائد قيما، تستعمل كمبررات للعمل، أو تبيح ترتيبات اجتماعية معينة. والأفكار المكونة للعقيدة ينبغي أن تكون متماسكة على نحو كاف لجعل الذهن خاليا من الإنزعاج بسبب الأحكام والمطالب المتناقضة. وتضم هذه السمات، معا، وصفا لأنواع العقائد الأساسية، التي قد يكون تحديدها مهما لفهم النشاط السياسي، أو تفسيره[1].

وبمثل هذا المعنى يعبر النبهاني، في موضع آخر، عن فهمه للفكرة، إذ يقول: ((الفكرة الكلية، هي العقيدة، وهي القاعدة الفكرية، وهي القيادة الفكرية، وعلى أساسها يتعين اتجاه الإنسان الفكري، ووجهة نظره في الحياة، وعليها تُبنى جميع الأفكار، وعنها تنبثق جميع مشاكل الحياة))[2].

ويبدو أن النبهاني قد قيد نفسه، وفكره بقيود قوية لا يسهل الفكاك منها، حين صور المبدأ، بأنه جامع للفكرة والطريقة معا، وبمعنىً آخر، أن تكون الطريقة من جنس الفكرة. وعلى هذا الأساس نظر إلى الدول القائمة في وقته، على أساس أن لكل واحدة منها فكرة أساسية لعلاقتها بغيرها من الشعوب والأمم ثابتة، أو غير ثابتة، ولها طريقة خاصة لتنفيذ فكرتها ثابتة، أو غير ثابتة، على ضوء فكرتها، وطريقتها ترسم الخطط وتتبع الأساليب، بالصورة التي تساعدها على تحقيق أهدافها[3].

1- جفري روبرتز وإلستر إدواردز، المعجم الحديث للتحليل السياسي، ترجمة سمير الجلبي، بيروت الدار العربية للموسوعات، ١٩٩٩، ص ص ٢٠٦-٢٠٧.
2- النبهاني، نظام الإسلام، ط٦، بيروت، دار الأمة، ٢٠٠٢، ص٢٥.
3- النبهاني، مفاهيم سياسية، مصدر سبق ذكره، ص٤٠

إن القيود التي وضعها النبهاني، كما قدمنا، قيود محكمة لا يمكن حتى لذلك الإستثناء الذي ذكره أن يحرره منها، حين استدرك على قوله الأول، بأن الدول القائمة في العالم اليوم تطلق لنفسها العنان، فيما يخص الأساليب؛ فتتبع أي أسلوب يحقق الهدف، ولو خالف الطريقة. وتسير على قاعدة: (الغاية تبرر الوسيلة). وذلك لأنه يعود ليؤكد على اقتران الفكرة بالطريقة، ولا سيما فيما يتعلق بالدولة المبدئية. والمبادئ التي تسود العالم، برأيه، هي ثلاثة مبادئ: الإسلام، والشيوعية، والرأسمالية. أما الإسلام، فلا دولة له، وبالنتيجة، فلا أثر له في السياسة الدولية؛ وأما المبدآن الآخران، فقد انقسم العالم، من أثرهما إلى معسكرين: شرقي، وغربي. وحين تناول النبهاني، هذين المبدأين، بالدراسة، أكد على التلازم بين الفكرة والطريقة. فالفكرة التي تقوم عليها سياسة المعسكر الشيوعي، في العلاقات الدولية، هي نشر الشيوعية في العالم. أما الطريقة التي يتبعها فهي إيجاد التناقضات في كل بقعة من العالم، بإيجاد التخريب والهدم وإشاعة الفوضى، وبذر الأحقاد، وإثارة التذمر، وجعل الشقاق والنزاع دائما بين الناس، وبعبارة أخرى، إيجاد النضال الطبقي بين السكان. وعلى ذلك فإن السياسة الخارجية للمعسكر الشيوعي ــ حسب إفادة النبهاني ــ ثابتة في فكرتها وطريقتها، ولا يغيرها اختلاف الحكام، سواء أكان الحاكم لينين أو ستالين أو غيره[1].

وإذا كانت هذه الطريقة ثابتة، ولا تتغير ــ برأي النبهاني ــ وإذا كانت أمرا لازما؛ لأن النظام الذي ينبثق عن العقيدة إذا لم يتضمن بيان كيفية تنفيذ المعالجات؛ فإنه يظل فكرة فلسفية خيالية في بطون الكتب دون أن يكون لها أثر في الحياة[2]. ثم إن النبهاني نفسه سيضطر إلى نقض قاعدته بخصوص تلازم الفكرة والطريقة، ولعله يعد ذلك من باب الإستثناء؛ ولكن كيف العمل إذا تحول الإستثناء قاعدةً، والقاعدة استثناءاً. ولبيان نقض النبهاني لكلامهِ حول طريقة نشر الشيوعية ــ ولكن دون أن يبين ذلك طبعا ــ نورد النص الآتي: ((وإذا كانت

1- المصدر السابق، ص ص٦-٧.
2- النبهاني، نظام الإسلام، مصدر سبق ذكره، ص٢٥.

روسيا تحاول تنزيه نفسها عن الإستعمار، وتدعي مقاومة الإستعمار، ونشر فكرة التحرر والتحرير، ولكنها في الواقع، بعد أن تركت الدعوة الشيوعية، واتخذت سياسة جديدة لها، فإنها بسعيها لبسط النفوذ إنما تقوم بما تقوم به الدول الإستعمارية، فإن الدول الإستعمارية تسعى الآن لفرض السيطرة الإقتصادية والسياسية والثقافية على البلاد المستضعفة لاستغلالها، أما روسيا فإنها تسعى لبسط السيطرة على البلاد المستضعفة لإيجاد نفوذ لها فيها))[1].

ومع أن النبهاني يشير في النص السابق الذي اقتبسناه ــ منه ــ إلى أن الإستعمار الروسي المقصود حصل بعد ترك الدعوة الشيوعية؛ ولكنه يعود ليقول في النص ذاته، أن سعيها لبسط السيطرة على البلاد المستضعفة كان لإيجاد نفوذ لها. فما هو هذا النفوذ إن لم يكن نفوذا للشيوعية؟ أم أنه لحماية روسيا، فحسب؟ أم أن الدولة المبدئية تخلت عن المبدأ، والفكرة، والطريقة معا؟

أما المعسكر الرأسمالي أو الغربي؛ فإن الفكرة التي تقوم عليها السياسة عنده، هي نشر المبدأ الرأسمالي، المتمثل بفصل الدين عن الحياة في العالم كله، وتعمل جميع الدول التي تعتنق الرأسمالية ــ كما صرح النبهاني ــ على نشر قيادتها الفكرية الرأسمالية في العالم. وجعل وجهة نظرها في الحياة هي التي تسود العالم. وأما الطريقة التي يتبعها الرأسماليون لتنفيذ فكرتهم فهي الإستعمار؛ أي فرض السيطرة السياسية، والعسكرية، والثقافية، والإقتصادية على الشعوب المغلوبة لاستغلالها. وهذه الطريقة ــ كما أكد النبهاني ــ ثابتة لا تتغير مهما تغيرت الحكومات، أو اختلفت قوانينها. والإستعمار ليس ــ كما يقول لينين ــ أعلى مرحلة من مراحل الرأسمالية؛ وإنما هو جزء من وجهة النظر في الرأسمالية، وهو الطريقة التي تنتشر الرأسمالية بواسطتها في الشعوب والأمم، وعلى ذلك ــ كما يصف النبهاني ــ فإن السياسة الخارجية الغربية ثابتة في فكرتها وطريقتها، وهي لا تختلف في بريطانيا عنها في أميركا، أو فرنسا، أو

1- النبهاني، نظرات سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص٦٣-٦٤.

بريطانيا. وأساس هذه السياسة هو نشر المبدأ الرأسمالي، ووجهة النظر الرأسمالية في الحياة، بواسطة استعمار الأمم والشعوب[1].

ولا يسلم النبهاني، هنا، من الوقوع في المشكلة التي وقع فيها عند حديثه عن فكرة وطريقه المعسكر الشرقي في سياسته؛ فها هو يرى أن الإستعمار هو الطريقة الثابتة لنشر المبدأ الرأسمالي. ولن يشفع له قوله أن هذه الطريقة بدأت تتطور مع الزمن من استعمار عسكري إلى اقتصادي إلى ثقافي، ولا حتى قوله أن هذا الإستعمار أصبح أقرب إلى كونه غاية، من كونه طريقة، وذلك بعد ظهور الجشع الإستعماري المتمثل بالتكالب على المادة[2].

والواقع أن الإستعمار لم يكن في يوم من الأيام طريقة لنشر المذهب الرأسمالي؛ حتى وإن أعلن زيفا عن مثل هذه الغاية لخداع الشعوب الضعيفة المغلوبة على أمرها، ولو تأملنا الإستعمار المعروف والمتكرر على مدى تاريخ الدول والحضارات والأفكار والشعوب، قبل أن تولد الرأسمالية بقرون طويلة لوجدناه ينطوي على عدد من الأهداف، من أهمها ما يلي:

١. الهدف الإقتصادي، ولعل هذا الهدف هو الهدف الغالب على الإستعمار، وحسب تعبير الأفغاني؛ فإن دول الإستعمار، لا تسير إلا إلى البلاد الغنية في ثرواتها ومعادنها، وخصب تربتها[3]. وإذا كان من نقاش حول أهداف الإستعمار في الماضي؛ فإن الهدف الإقتصادي هو الهدف الأساس للإستعمار الغربي الحديث، الذي حركته الشهوة إلى كنوز الشرق، وثرواته المعدنية، والمواد الخام اللازمة لقيام الثورة الصناعية الجامحة. ويكفي للإقرار بأهمية هذا الهدف أن نعلم أن البلدان التي تعرضت للإستعمار، كانت نهبا للجوع والفقر بسبب الجشع الإستعماري، وعلى سبيل المثال؛ فإن ضحايا الجشع البريطاني الذين ماتوا في الهند عام (١٨٠٠م)، وحتى (١٩١١م) كان ستة وخمسين مليونا من البشر،

1- النبهاني، مفاهيم سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص١٤-١٥.
2- المصدر نفسه، ص ص١٤-١٥.
3- الأفغاني، مصدر سبق ذكره، ص٧١.

وهؤلاء جميعا ماتوا جوعا، بسبب المجاعات المتكررة؛ فما بالك بضحايا الأوبئة، والأمراض السارية والعلل المزمنة التي فتكت بالشعب الفقير فتكا! وينبغي أن نعلم، هنا، أن مجاعات الهند لم تكن ناتجة عن أسباب طبيعية؛ لأن الهند بلد غني بذاته، وفي صعيده من قوة الإنبات ما يكفل لأبنائه رغد العيش والرفاهية؛ ولكنه الجشع الإستعماري[1].

وقبل أن ننتقل إلى الهدف الثاني نختم بالإشارة إلى أن النبهاني، نفسه، قد قال في أحد كتبه: أن الإستغلال الإقتصادي، هو الوجه البارز في سياسة الدول الإستعمارية[2]. وفوق ذلك، فقد عزى تحطيم الدولة الإسلامية إلى طمع الغرب بثرواتها، وبذلك يقول: ((وأما أهميته الإستعمارية؛ فإنها هي التي سببت له هذا البلاء وأزالته بوصفه دولة كبرى وقوة عالمية، وحولته إلى مستعمرة غربية تتزاحم فيها الدول الغربية على الإستعمار وبسط النفوذ، فالنفط الموجود فيه يزيد عن نصف نفط العالم، والمواد الخام الموجودة في الأردن والعراق وسورية وتركيا وإيران والهند وغيرها، يشكل ثروة هائلة تعدل عشرة أضعاف ثروة أوروبا وأميركا مجتمعتين، ولذلك تتسابق الدول على استعماره وتتصارع عليه))[3].

٢. الهدف السياسي. ونقصد بالهدف السياسي، سعي الدول الطامحة إلى المجد القومي إلى التوسع وبسط النفوذ، وإنشاء القوميات في أوروبا، في العصر الحديث، كان دافعا لمثل هذا التوسع، كما هو عند الألمان والطليان، وغيرهم. وكذلك يشمل الهدف السياسي تحطيم الدول المعادية، نتيجة لأحقاد قديمة كما هو الحال مع الحقد الصليبي تجاه دولة الإسلام. ويجمع محمد الغزالي بين الهدفين: الأول والثاني، بوصفه للإستعمار أنه أحقاد وأطماع[4].

1- محمد حبيب الموصلي، جنايات الإنجليز، مصدر سبق ذكره، ص ص٣٦-٣٩.
2- النبهاني، نظرات سياسية، مصدر سبق ذكره، ص٦٤.
3- النبهاني، مفاهيم سياسية، مصدر سبق ذكره، ص٧٦.
4- ينظر محمد الغزالي، الإستعمار، أحقاد وأطماع، مصدر سبق ذكره.

إن الإستعمار الحديث، كما يصفه البنا، استخراب في حقيقته، يهدف إلى تدمير البلدان، وإفسادها علميا، واقتصاديا، وخلقيا، وصحيا، وكذلك إذلال أهلها، وسلب لمظاهر حضارتهم[1]. وهو يطبق على هذا الواقع الإستعماري قول الله تعالى: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾[2].

ولعل كتابات النبهاني تشير إلى هذا الهدف أبلغ إشارة، فإن الإستعمار الذي استهدف العالم الإسلامي، لم يكن إلا لتحطيم الدولة الإسلامية، وما زرعه للأفكار الغربية إلا للحيلولة دون قيام هذه الدولة مرة أخرى، وفي الوقت ذاته لضمان تركز الإستعمار، وبقائه في المنطقة، وليس لأجل نشر الأفكار الرأسمالية. يقول النبهاني: ((وكان من جرائها [تخليهم عن حمل الدعوة الإسلامية] أن زالت هيبتهم من نفوس أعدائهم، وحينئذ نشطت الغزوات الثقافية والتبشيرية في العالم الإسلامي، وبدأت تصاحبها الغزوات السياسية لاقتطاع بلاد الإسلام جزءا جزءا، ولتمزيق العالم الإسلامي والقضاء عليه، وقد تم لهم ذلك بالفعل، ونجحوا نجاحا باهرا))[3].

أما كيف يكون هذا القضاء؛ فيكون كما ينص النبهاني: ((وحينئذ بدأت الدول الأوروبية تفكر في إزالة الدولة الإسلامية من الوجود الدولي، وإزالة الإسلام كله من معترك الحياة، ومن العلاقات بين الناس، أي بدؤوا يفكرون في حرب صليبية ثانية... يقتلعون بها جذور الدولة الإسلامية من أساسها حتى لا يبقى لها أثر، ولا يبقى منها جذر واحد ينبت. ويقتلعون الإسلام من نفوس المسلمين حتى لا يبقى منه سوى طقوس كهنوتية وشعائر روحية))[4].

1- حسن البنا، حديث الثلاثاء، إعداد أحمد عيسى عاشور، القاهرة، مكتبة القرآن، سنة الطبع بلا، ص ص٤٦٤-٤٦٥.

2- سورة النمل، الآية ٢٤

3- النبهاني، الدولة الإسلامية، مصدر سبق ذكره، ص٢٠٦.

4- النبهاني، كيف هدمت الخلافة، ط٣، بيروت، دار الأمة، ١٩٩٠، ص١٢.

وحتى لا تعود إلى الوجود مرة أخرى (ماذا فعل الإستعمار؟) يجيبنا النبهاني: ((وهكذا دأب الإستعمار منذ أن قضى على الدولة الإسلامية، وإلى الآن يقيم العراقيل التي تحول دون قيام الدولة الإسلامية، ويركز جهوده للحيلولة دون إيجادها، بعد أن محاها من الوجود))[1].

٣. أما الهدف الثالث، فهو الهدف الديني، بمعنى التبشير للنصرانية، وهذا الهدف لا يتفق أبدا مع نشر الأفكار الرأسمالية؛ لأن الأخيرة تدعو إلى فصل الدين عن الحياة. ولعل الكنائس تتبنى مثل هذا الهدف؛ أما الدول فإنها غالبا ما تدعو إلى الهدف الديني كغلاف يغلفون به أهدافهم الحقيقية، ومن الأمور التي أصبحت معروفة في أسباب الحروب الصليبية، إنها كانت في ظاهرها دينية، هدفها تخليص بيت المقدس من المسلمين؛ بينما كانت في حقيقتها سبيلا للسيطرة على الشرق الإسلامي، بما فيه من خيرات اقتصادية ومراكز حربية[2].

ومن كل ما سبق نخلص إلى أن الإستعمار لم يكن يوما طريقة لنشر المبدأ الرأسمالي، وأن الرأسماليين لم يشغلوا أنفسهم بنشر هذا المبدأ، أما فكرتهم الأساسية، فهي النفعية، وتركيز رأس المال. والإستعمار، بهذه الكيفية، هو طريقهم لتركيز رأس المال. أما الخطأ الذي أوقع النبهاني في عدد من الأخطاء التي بنيت عليه، فهو قياسه لفكرة وطريقة الرأسماليين وكذلك الشيوعيين على الفكرة الإسلامية، التي توجب أن تكون الطريقة من جنسها. وهؤلاء يعتمدون في سياستهم على الخطط والأساليب، وليس على طريقة ثابتة. كما هو الحال في الإسلام الذي يمنع التوصل بالحرام إلى الواجب، كما يمنع أن تناقض الوسيلة السياسية طريقة السياسة.

1- النبهاني، الدولة الإسلامية، مصدر سبق ذكره، ص١٢.

2- د. مصطفى خالدي، ود. عمر فروخ، التبشير والإستعمار، ط٢، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٥٧، ص١١٤.

ثالثا) قضية أوروبا

إن قضية أوروبا ــ كما يصفها النبهاني ــ قضية تتعلق بوجود الدول الكبرى بوصفها كبرى، وتتعلق بالتوازن بين القوى الكبرى، وتتعلق بالسيطرة العالمية، ومداها، وهي أقدم القضايا، وأكثرها خطرا على ما يسمى بالسلام العالمي[1].

أما كونها أقدم القضايا، فإنها ــ طبقا للنبهاني ــ هي القضية التي أوجدت في العالم ما يسمى بالأسرة الدولية، أو المجموعة الدولية، وهي القضية التي وجد ما يسمى بالقانون الدولي لأجلها. فمن أجل وقوف أوروبا في وجه الإسلام وجدت الأسرة الدولية المتكونة من الدول الأوروبية النصرانية. كما وجد ما يسمى بالتحالف المقدس لضرب نابليون، ولمنع فرنسا من التوسع، ثم لمنع ألمانيا من الإستئثار بنفط الشرق الأوسط، والوقوف بوجه قوتها الصاعدة، كانت الحرب العالمية الأولى؛ أما الحرب الثانية، فكانت،أيضا، لمقاومة ألمانيا، ومنعها من الإخلال بميزان القوى في أوروبا؛ حيث اتفقت الدول الكبرى الأربع: إنجلترا، وفرنسا، والولايات المتحدة، والإتحاد السوفيتي على سحق ألمانيا، ومنعها من الصعود ثانية إلى مستوى الدول الكبرى. ولمنع توحيد أوروبا، والحيلولة دون تقوية ألمانيا تقوم الدول الكبرى بالمناورات السياسية والأعمال السياسية الأخرى، ولا فرق في ذلك بين العملاقين، ولا بين إنجلترا وفرنسا اللتان تتظاهران بالعمل لوحدة أوروبا، وعليه فإن قضية أوروبا هي قضية القضايا، وهي محل الإهتمام الأول من العملاقين، ومن باقي الدول الكبرى[2].

والواقع أن وجود القانون الدولي، وكذلك الأسرة الدولية ــ كما يرى هاشم نعمة ــ هو أقدم من ظهور قضية أوروبا على السطح؛ ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تشكو من غياب تنظيم سياسي دولي ملموس؛ فإن الدولة العربية ــ الإسلامية، مع غيرها من الدول ــ وفقا للشريعة الإسلامية كانت: دار سلام ودار

1- النبهاني، مفاهيم سياسية، مصدر سبق ذكره، ص٧٢.

2- المصدر السابق، ص ص٧٢-٧٣.

حرب، ولكل من الدارين افتراضات دينية، وشرعية، وسياسية؛ فقد تصور الفقه الإسلامي المجتمع الدولي، وحدة متكاملة ينبغي التعامل مع كياناتها تبعا للدولة الإسلامية [١].

وهناك من يرى أن النظام الدولي أسبق ظهورا من الإسلام، ومن النظام الإسلامي؛ فقد كانت القطبية الثنائية، قطبية الإمبراطورية الفارسية، وقطبية الإمبراطورية الرومانية، اللتان سيطرتا على العالم وعلى النظام العالم سيطرة عقائدية، وسياسية، واقتصادية، وعسكرية، وكانت هنالك خطوطا حمراء، وأخرى خضراء على مسرح العمليات التي خاضها العملاقان، آنذاك[٢].

وعلى أية حال، فإن القانون الدولي، والأسرة الدولية ــ بالمعنى القانوني الصريح ــ لم يظهرا إلا بعد مؤتمر (وستفاليا) عام (١٦٤٨م)، ولذلك فإننا نميل إلى ما ذهب إليه النبهاني، من أن قضية أوروبا، هي التي أوجدت الأسرة الدولية، وذلك بغض النظر عن الأسباب. ففي الوقت الذي يرى فيه البعض أن مؤتمر (وستفاليا) كان لتنظيم الدولة القومية الحديثة في أوروبا، وتحديد مجالات السيادة لهذه الوحدات السياسية الجديدة في أوروبا، فضلا عن ترسيم الحدود الإقليمية[٣].

يرى النبهاني أن مؤتمر (وستفاليا) وضع القواعد الثابتة لتنظيم العلاقات بين الدول النصرانية في مقابل الدولة الإسلامية. فقد وضع هذا المؤتمر القواعد التقليدية، لما يسمى بالقانون الدولي، وإن لم يكن دوليا عاما، فقد كان خاصا بأوروبا[٤]. وقد حاولت الدول الأوروبية، منذ معاهدة (وستفاليا) تنظيم علاقاتها، داخل إطار نظام ميزان تعادل القوى. وكان مضمونه أن تنخرط الدولة الإسلامية في جبهات متحالفة لمواجهة أي دولة تسعى لفرض هيمنتها على أوروبا، أو تهدف إلى إفساد النظم السياسية السائدة. وقد أقر مؤتمر (فينا) عام ١٨١٥ فاعلية نظام

1- د. كاظم هاشم نعمة، مصدر سبق ذكره، ص٣٢.

2- فتحي يكن، المتغيرات الدولية، والدور الإسلامي المطلوب، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣، ص١٧.

3- د. كاظم هاشم نعمة، مصدر سبق ذكره، ص٣٢.

4- النبهاني، مفاهيم سياسية، مصدر سبق ذكره، ص٣٨.

توازن القوى الكبرى؛ ولكن هذا النظام أخفق في التغلب على التناقضات الشديدة، داخل الدول الأوروبية، مما أدى إلى انهياره عام ١٩١٤، وهكذا ظهرت العصبة بعد الحرب الأولى، ثم حلت الأمم المتحدة محلها عام ١٩٤٥ممثلة للأسرة الدولية[١].

ويعتقد النبهاني أن قضية أوروبا هي أخطر القضايا على السلام العالمي، ويُرجع ذلك إلى سلوك وتصرفات كل من فرنسا، وألمانيا، وإنجلترا، وإلى تصرفات روسيا وأميركا، قبل الإتفاق بينهما، وإلى تصرفاتهما ــ بينهما ــ بعد الإتفاق كعملاقين. أما فرنسا، وإنجلترا، وأميركا فقد كانت تمثل المعسكر الغربي، قبل اتفاق العملاقين، وكانت قضية أوروبا تمثل قضية رواسب ومشاكل الحرب العالمية الثانية. أما بين المعسكرين فقد تمثلت بالبحث في مستقبل أوروبا الغربية، ومستقبل ألمانيا. فالمعسكر الغربي كان يرى توحيد أوروبا؛ لتقف بوجه روسيا، وكانت أميركا تعنى ــ بوجه خاص ــ ببعث العسكرية الألمانية، وإيجاد جيش ألماني قوي للوقوف في وجه روسيا، وكذلك لإيجاد توازن جديد بين ألمانيا، وفرنسا وإنجلترا، وبالمقابل فقد كانت روسيا، التي تمثل المعسكر الشرقي في خطر محدق من أوروبا، ومن ألمانيا، خصوصا؛ ولذلك وقفت في وجه الوحدة الألمانية، ووحدة أوروبا، وضد كل ما من شأنه تقوية أوروبا وألمانيا؛ فنجحت ــ عن طريق الحرب الباردة، والأعمال السياسية، والنشاط الدبلوماسي ــ أن تمنع أوروبا من أن تصبح قوة تهددها، وأن تمنع ألمانيا من التقدم، خطوة واحدة في موقفها[٢].

إن خطورة قضية أوروبا على السلام العالمي تكمن في الحروب التي تثيرها هذه القضية، وما تبحث عنه من توازن دولي، ومن اقتسام لمناطق النفوذ، وقد أبدعت أوروبا حربين عالميتين، من أتعس الحروب[٣]. ويذكر النبهاني أن

1- د. كاظم هاشم نعمة، مصدر سبق ذكره، ص ص٣٢-٣٣.

2- النبهاني، مفاهيم سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص٧٣-٧٤.

3- إن عدد المصابين في الحرب الأولى، حوالي واحد وعشرون مليونا فهم سبعة ملايين قتيل، وفي الثانية سبعة وثلاثين مليونا، منهم تسعة ملايين قتيل. ينظر أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط١١، حلب، دار السلام، ١٩٧٨، ص٢٢٣.

إنجلترا هي التي أوجدت فكرة الحرب العالمية؛ فقد لجأت إلى دول أخرى وأغرتها بالإشتراك معها في سبيل حماية نفسها. وبداية ذلك، تكتيلها أوروبا للوقوف بوجه نابليون، ثم الدولة العثمانية، ثم الحرب العالمية الأولى، فالثانية[1].

لقد قسمت أوروبا العالم الواحد إلى عالمين، إبان الحرب الباردة، والعائلة الدولية إلى عائلتين، تتصارعان على السيطرة على العالم. وأخذ كل فريق يسعى لتجميع القوى خارج إطار الأمم المتحدة. ونظرا لقيام المعسكرين على مبدأين متناقضين، اتجهت جهود جميع القوى إلى كل زاوية من زوايا المعمورة؛ لتجعل من توازن القوى المنشودة توازنا عالميا[2].

ويرى النبهاني، أنَّ الحال قد تغير باتفاق الرئيس السوفيتي نيكيتا خروشوف والرئيس الامريكي جون كندي عام ١٩٦١؛ إذ تَوحَّدَ رأي العملاقين تجاه ألمانيا، وتجاه قضية أوروبا. ويستدل النبهاني، على ذلك بتصريح كندي، بعد الإتفاق الذي قدم تبريرا لمخاوف السوفيت من ألمانيا، وأوروبا؛ حيث تعرضت لضربتين: الأولى من قبل نابليون، والثانية، من قبل هتلر. أما فرنسا فقد عملت على توحيد أوروبا وجعلها قوة ثالثة، وذلك منذ وصول الجنرال شارل ديغول إلى الحكم، وحتى لقائه بالرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون في آذار١٩٦٩. ولذلك عملت على تقوية ألمانيا؛ ولكن إلى الحد الذي لا تشكل فيه خطرا على فرنسا. كما عملت على إيجاد إتحاد كونفدرالي بين دول أوروبا، مع ضمان السيادة لفرنسا. أما إنجلترا فإنها ــ حسب فهم النبهاني ــ صارت توطد صلتها بألمانيا، وتطلعها على مؤامرات العملاقين، ضد التطور الألماني، والقوة الألمانية، وأصبحت تحاول دخول السوق المشتركة لتسجل نفسها رسميا أنها دولة أوروبية. ومن أجل استخدام أوروبا ضد العملاقين. هذه هي قضية أوروبا ــ في تصور النبهاني ــ إنها قضية تهدد باندلاع شرارة الحرب منها، ولذلك تعتبر قضية أوروبا خطرة على السلام العالمي[3].

1- النبهاني، نظرات سياسية، مصدر سبق ذكره، ص٦٦.
2- محمد موسى، مصدر سبق ذكره، ص ص٤٣-٤٤.
3- النبهاني، مفاهيم سياسية، مصدر سبق ذكره، ص ص٧٤-٧٥.

وهناك عامل آخر، في أهمية قضية أوروبا؛ ولكن النبهاني لم يشر إليه، وهو العامل الجغرافي؛ حيث أبرزت نظرية (ماكندر) في القوة البرية، أهمية الموقع الجغرافي لأوروبا. ومحتوى هذه النظرية: أن القارة الأوروبية، هي مركز القوة في العالم، ولا سيما أوراسيا، التي تضم ألمانيا وجزءا من شرق أوروبا؛ حتى الأوراس، وأُطلق عليها اسم السويداء، وأكد (ماكندر) بأن من يسيطر على السويداء سيسيطر على جزيرة العالم. ومن يسيطر على جزيرة العالم، يتحكم بالعالم جميعه[1].

وإذا كانت القارة الأوروبية مركزا للصراع والحروب، لبضعة قرون من الزمن، فيبدو أن العقلية الأميركية قد توصلت إلى فكرة جديدة، وهي نقل النزاع إلى أرض أخرى، غير أرضهم، وذلك ما تنبأ به سيد قطب، قبل أكثر من نصف قرن، حين قال: ((إن المعركة في صميمها ستدور في أرض غير أرض الكتلتين، ستدور في تركيا وإيران، والعراق، وسورية، ومصر، والشمال الأفريقي، وفي باكستان، وأفغانستان، وفي منابع البترول الإيرانية العربية في عبادان والظهران. إنها ستدمر مواردنا نحن وتحطم حياتنا نحن، وتدع أرضنا بقعا خرابا يبابا. وسواء علينا أنتصرت هذه أم هذه، فسنخرج نحن من المعركة فتاتا وحطاما!! لا كما خرجت أوروبا من الحروب الماضية، ولكن كما لم تخرج أمة من حرب قط))[2].

مما تقدم ذكرهُ نَخلُصُ إلى ما يلي :-

١- لقد شغلت السياسة الغربية مساحةً واسعة من فكر النبهاني وهو من كتاب الفكر الإسلامي المعاصر القلائل الذين تناولوا السياسة الدولية لاسيما الغربية منها بالدراسة والنقد والتحليل ومتابعة تطوراتها ومتغيراتها بأسلوب منهجي واضح على الرغم من كونه غير مختص بدراسة العلوم السياسية وفروعها.

٢-ينطلق النبهاني في متابعته للسياسة الدولية الخارجية والأسس والمبادئ التي تقوم عليها والعوامل المحركة لها والخطط والأساليب المتبعة في تنفيذها من

1- د. كاظم هاشم نعمة، مصدر سبق ذكره، ص١٧.
2- سيد قطب، السلام العالمي، مصدر سبق ذكره، ص ص٨٤-٨٥.

مشروعه السياسي الكبير والمتمثل في مشروع الدولة الإسلامية وإعادتها من جديد وفق المنهج الإسلامي الصحيح، اذ ان فهم السياسة الدولية من مقتضيات إقامتها والمحافظة عليها.

٣-ومما يُحسَبُ للنبهاني شجاعتهُ وإقرارهُ للحق حتى وان كان لدى الأخر فالشعب الانجليزي بالنسبة له يتميز بالذكاء وسعة الحيلة والشعب الأمريكي شعب واع نشيط يتميز بالخيال الخلاق وقد استطاع ان يقيم نظاما ديمقراطيا فريدا في هذا العصر، وهذه الشجاعة قلما نجدها في الكتابات الإسلامية المعاصرة.

٤-وكما هو حال كل دارس ومحلل للسياسة الدولية فقد يخطئ وقد يصيب، فالنبهاني لا يشذ عن ذلك. ولعل فُرَص الصواب في التحليل السياسي هي اقل الفرص في كل مجال من مجالات العلوم الأخرى ورب أمور في السياسة قبل قرن او نصف قرن أصبحت واضحة لنا اليوم لم تكن كذلك بالنسبة لمن عاصروها، وعليه فلا يدل الخطأ في تحليل السياسة على ضعف مَنْ قام به لأن التحليل الصحيح لابد له من معلومات صحيحة، والمعروف أن المَخفي في السياسة أكثر بكثير من الظاهر على الرغم من القدرات الإعلامية والمعلوماتية الهائلة اليوم ووجود الأحزاب المعارضة وغير ذلك. ومع ذلك فان الخطأ الكبير الذي وقع به النبهاني جاءه من قبل المنهج الذي قيَّدَ به نفسه حين اعتقد ان المبدأ جامع للفكرة والطريقة وان الطريقة يجب ان تكون من جنس الفكرة، وكأنه قاس الفكرة الرأسمالية والفكرة الشيوعية على الفكرة الإسلامية مع إن الغاية لدى الغرب تبرر الوسيلة إما في الإسلام فلا. إذ أنَّ الفكرة لدى الرأسماليين برأيه هي نشر الرأسمالية في العالم عن طريق الاستعمار إما لدى الشيوعيين فهو نشر الشيوعية في العالم وذلك عن طريق إيجاد التناقضات في كل بقعة من العالم، ولكن الواقع يثبت غير ذلك.

ملخص البحث

يُعد تقي الدين النبهاني (١٩٠٩-١٩٧٧)، العالم الأزهري والقاضي الفلسطيني، ومؤسس حزب التحرير عام (١٩٥٣)، من أبرز المفكرين الإسلاميين في القرن العشرين، الذين تناولو السياسة الغربية بالنقد والتحليل، وعَدَّ فَهم السياسة الخارجية أمرا جوهريا لحفظ كيان الأمة والدولة.

وفي إطار وصفه لواقع السياسة الغربية رآى أن أنجلترا تمكنت من احتلال موقع خطير في السياسة الدولية، على الرغم من صغر حجمها وقلة سكانها؛ فقد جمعت القوى لتجعل منها أداة لتحقيق أهدافها، ويبدو أن النبهاني قد بالغ في وصف قوة أنجلترا ومكانتها في السياسة الدولية، وقدرتها على تحريك خيوط هذه السياسة؛ وكأنه وقع أسيرا لنظرية المؤامرة.

أما السياسة الأميركية فقد قامت ــ برأيه ــ قبل الحرب العالمية الثانية على أساس الإنفراد بالنصف الغربي من الكرة الأر ضية. أما سياستها بعد الحرب فقد قامت على أساس التأثير في الحياة الدولية. ولم يخف النبهاني إعجابه بالنظام الديمقراطي الأميركي، على الرغم من إنكاره الواضح لمبدأ الديمقراطية.

أما السياسة الروسية فقد هدفت إلى إيجاد الثورة العالمية لنشر الشيوعية، كما أرادت السيطرة الكاملة على دول أوروبا الشرقية وإبقاء الصين دون مستواها والهيمنة على الدول المحيطة بالصين فضلا عن مراقبة سياسة أميركا وتتبعها.

لقد أكد النبهاني على التلازم ــ في السياسة الغربية ــ بين الفكرة والطريقة. واعتقد أن الفكرة التي تقوم عليها سياسة المعسكر الشيوعي في العلاقات الدولية هي نشر الشيوعية في العالم، بطريقة إيجاد التناقضات في كل بقعة من بقاع العالم، مستبعدا استخدامهم للإستعمار كطريقة لنشر مبدئهم.

أما المعسكر الرأسمالي، فإن الفكرة التي تقوم عليها سياسته هي نشر المبدأ الرأسمالي واستخدام الإستعمار لتحقيق هذا الهدف.

Abstract

Western Policy in Thought of Al-Nabhani

Taqudeen Al-Nabhani(1909-1977) — one of Al—Azhar scholars, a Palestinian judge, and the founder of Attahreer Party (1953) — is regarded as one of the most prominent Islamic thinkers in the 20th century. He studied the western policy from a critical point of view and considered that the understanding of the foreign policy as an essential principle to protect the Nation and state.

Inspite of its small population and area, he saw – within the framework of his description – that England had maintained a critical position in the international policy. It had directed the superpowers to achieve its aims. But the fact seemed that he had much exaggerated of the power of England and its role, and as if he were influenced by the conspiracy theory.

He believed that the US policy, before War II, was secluded in the western part of the glob, while it was based on the interaction with the international policy after that war. And inspite of his opposition to the democracy principle, Al-Nabhani showed his appeal to the American democracy.

On the other hand, Russian had worked to sow for the international revolution of Communism. It had, also, tried to submit the states of the Eastern Europe and to weaken the strength of China and its followers as well as to watch America.

Al-Nabhani had emphasized on the idea of combination between the way and the idea of the western policy. He thought that the idea of the Communist alliance - in the international relations – was to spread Communism all over the world through the creation of contradictions regardless to the use of colonialism.

While the spread of Capitalism was the ideology of the Capitalists alliance, and they used colonialism to achieve it.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتب العربية والمترجمة

١. ابن خلدون، عبدالرحمن، مقدمة ابن خلدون، القاهرة، دار الفجر، ٢٠٠٤.

٢. الأفغاني، جمال الدين، الكتابات السياسية، تحقيق د. محمد عمارة، بيروت، الدار العربية، ١٩٨١.

٣. بكار، عبد الكريم، العولمة، عمان، دار الإعلام، ٢٠٠٠.

٤. البنا، حسن، حديث الثلاثاء، إعداد أحمد عيسى عاشور، القاهرة، مكتبة القرآن، سنة الطبع بلا.

٥. بيجوفيتش، على عزت، الإسلام بين الشرق والغرب، بيروت مؤسسة العلم الحديث، ١٩٩٤.

٦. خالدي، د. مصطفى، ود. عمر فروخ، التبشير والإستعمار، ط٢، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٥٧

٧. روبرتز، جفري، وإلستر إدواردز، المعجم الحديث للتحليل السياسي، ترجمة سمير الجلبي، بيروت الدار العربية للموسوعات، ١٩٩٩.

٨. سليم، فتحي، حزب التحرير، كتاب مخطوط.

٩. الطعان، د.عبد الرضا، تاريخ الفكر السياسي الحديث، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٩٢.

١٠. الغزالي، محمد، الإسلام في وجه الزحف الأحمر، ط٩، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٠.

١١. قطب، سيد، أميركا التي رأيت، الأندلس، الحدائق للنشر والتوزيع، ١٩٩٣.

١٢. الكيالي، د.عبد الوهاب واخرون، موسوعة السياسة، ج١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٤، ١٩٩٩، ص ص ٢٩٤-٢٩٥.

١٣. مجموعة مؤلفين، قاموس أكسفورد، لندن، جامعة أكسفورد، ١٩٩٨.

١٤. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، بيروت، دار إحياء التراث، سنة الطبع بلا.

١٥. موسى، محمد، العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، بيروت، دار البيارق، ١٩٩٦.

١٦.الموصلي، محمد حبيب، جنايات الإنجليز، إربد، دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٥.

١٧.النبهاني، تقي الدين، الدولة الإسلامية، ط٧، بيروت، دار الأمة، ٢٠٠٢.

١٨.....، الفكر الإسلامي، مكان وجهة النشر بلا، ١٩٥٨.

١٩.....، كيف هدمت الخلافة، ط٣، بيروت، دار الأمة، ١٩٩٠.

٢٠.....، مفاهيم سياسية لحزب التحرير، ط٣، مكان النشر بلا، منشورات حزب التحرير، ١٩٦٩.

٢١.....، نظام الإسلام، ط٦، بيروت، دار الأمة، ٢٠٠٢.

٢٢.....، نظرات سياسية، بيروت، دار الأمة، ١٩٧٣.

٢٣.الندوي، أبو الحسن، أحاديث صريحة في أميركا، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤.

٢٤.....، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط١١، حلب، دار السلام، ١٩٧٨.

٢٥.نعمة، كاظم هاشم، العلاقات الدولية، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٨٧.

٢٦.يكن، فتحي، المتغيرات الدولية، والدور الإسلامي المطلوب، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣.

البحوث والمقالات

٢٧.البدراني، هشام، الإسلام أفكار وأحكام، في تبصرة الأفهام، قراءة لكتاب نظـــام الإسلام، لتقي الدين النبهاني، إربد، دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٥م.

٢٨.قطب، سيد، السلام العالمي، في الحرب الأميركية في منظار سيد قطب، إعداد، د. صلاح الخالدي، عمان، دار العلوم، ٢٠٠٣.